مذكرات شيرلوك هولمز

(٦)

وصيّة عائلة موسْغريف

نُشرت للمرة الأولى في مجلة «سْتراند» الشهرية
في عدد أيار (مايو) ١٨٩٣

أذهلتني دائماً صفة غريبة في شخصية صديقي شيرلوك هولمز، فمع أنه من أكثر الناس ترتيباً ومنهجية في أساليب تفكيره ويميل إلى الأناقة في ثيابه المحافظة، إلا أنه كان -مع ذلك- واحداً من أكثر الناس فوضى في العادات الشخصية ومن الذين يدفعون زملاءهم في السكن إلى الجنون! لا يعني هذا أنني من المتمسكين بقواعد السلوك والنظام، فقد صرت أنا نفسي أمْيَلَ إلى التساهل بعد العمل الشاقّ الذي خبرته والحياة الفوضوية التي عشتها أثناء الحملة العسكرية في أفغانستان، فرجل الطب الذي يحشو التبغ في خُفّ فارسي ويثبّت رسائله غير المجاب عنها بمطواة فوق رفّ المدفأة لا يمكنه أن يحرص -بعد ذلك- على المظاهر الكاذبة.

وأيضاً كنت أدرك دائماً أن الرماية بالمسدّس يجب أن تكون تسلية في الهواء الطلق، لذلك استغربت كثيراً عندما جلس هولمز على مقعده ذي الذراعين -في إحدى نزواته الغريبة- ويده على زناد البندقية مع مئة خرطوش، ثم بدأ بتزيين الحائط بالرمز الوطني بواسطة بثرات من الرصاص!

كان مسكننا ممتلئاً دائماً بالكيماويات وآثار المجرمين التي ينتهي بها المطاف إلى أماكن غير مناسبة، كأن تظهر في طبق الزبدة مثلاً! ولكن كانت أوراقه هي مشكلتي الكبرى، فقد كان يخاف من تدمير أي مستنَد، ولا سيما تلك التي

ارتبطت بإحدى قضاياه السابقة. ومع ذلك لم يكن يستجمع طاقته لكي ينظّم تلك الأوراق إلا مرة كل عام أو عامين، فكما ذكرت -في مكان ما من هذه المذكّرات المتفرقة- فإن تفجُّر الطاقة الذي يصاحب إنجازه للأعمال الرائعة التي يرتبط بها اسمه تتبعه حالة من الخمود، يرقد خلالها ومعه كمانه وكتبه بلا حركة تقريباً إلا من الأريكة إلى الطاولة! لذلك تراكمت أوراقه شهراً بعد شهر حتى تكدّست في كل زاوية من زوايا الغرفة، في رُزَم من المخطوطات التي لا يمكن حرقها لأي سبب ولا يمكن تصنيفها إلا على يديه.

وفي إحدى ليالي الشتاء ونحن جالسان بجوار النار خاطرت فاقترحت عليه أن يوظف الساعتين المقبلتين لجعل غرفتنا أكثر صلاحية للمعيشة. لم يستطع إنكار عدالة مطلبي، فذهب إلى غرفته بوجه حزين إلى حد ما، ثم عاد وهو يسحب خلفه صندوقاً كبيراً فوضعه وسط الغرفة، ثم جلس على مقعد أمامه وفتح الغطاء، فرأيته شبهَ ممتلئ بحُزَم من الورق مربوطة بأشرطة حمراء ومقسَّمة إلى رُزَم صغيرة منفصلة.

نظر إليّ بعينين خبيثتين وقال: هنا من القضايا ما يكفي يا واطسون، وأحسب أنك لو عرفت كل ما يوجَد في هذا الصندوق ستطلب مني إخراج بعضها منه بدلاً من وضع بعض القضايا الأخرى فيه.

سألته قائلاً: أهذه هي سجلّات أعمالك الأولى إذن؟ لقد تمنيت دائماً أن أحصل على ملاحظات عن هذه القضايا.

- نعم يا ولدي، فكل هذه القضايا كانت قبل أن يأتي كاتب سيرتي ليمجّدني ويدوّن أعمالي.

رفع حزمة بعد أخرى بطريقة فيها نوع من الرقّة والمداعبة ثم قال: ليست كلها ناجحة يا واطسون، ولكن توجَد بعض المشكلات الصغيرة التي تتطلب البراعة بين تلك القضايا. ها هو تسجيل لقضية جرائم قتل عائلة تارلتون، ومغامرة المرأة الروسية العجوز، والقضية الرائعة لعكّاز الألمنيوم، وهنا... آه، نعم؛ هذا الشيء نادر حقاً.

دفع يده إلى قاع الصندوق فسحب منه علبة خشبية صغيرة ذات غطاء منزلق كتلك التي تُحفَظ فيها ألعاب الأطفال، وأخرج من داخلها ورقة مجعَّدة ومفتاحاً نحاسياً قديم الطراز، وخشبةً لُفَّ عليها حبل طويل، وثلاث عملات معدنية قديمة صَدِئة!

ثم سألني وهو يبتسم لتعابير وجهي: حسناً، ماذا تفهم من هذه الأشياء؟

- إنها مجموعة غريبة.

- غريبة جداً، وسيذهلك أن القصة التي تحيط بها أكثر غرابة.

- ألهذه الآثار تاريخ إذن؟

- إلى حد كبير، لدرجة أنها هي التاريخ.

- ماذا تعني؟!

التقط هولمز محتويات العلبة الواحدَ بعد الآخر فوضعها على الطاولة، ثم عاد إلى الجلوس في مقعده وتفحّصها بلمعة من الرضا في عينيه وقال: هذه الأشياء هي كل ما بقي ليذكّرني بمغامرة «وصيّة عائلة موسغريف».

كنت قد سمعته يذكر هذه القضية أكثر من مرة، لكني بقيت جاهلاً بتفصيلاتها، فقلت: سأكون مسروراً جداً لو قصصت عليّ هذه القضية.

صاح بخبث: وأتركُ الفوضى كما هي؟ لن يتحمّل حبك للترتيب ضغطاً أكثر من ذلك يا واطسون، ولكنني سأُسَرّ إذا أضفتَ هذه القضية إلى مذكراتك لأن فيها من النقاط ما يجعلها

رسم سدني باجيت (١٨٩٣) Sidney Paget (1893)

فريدة في سجلات الجريمة، وسوف تكون مجموعة إنجازاتي الصغيرة ناقصة ما لم تحتوِ على وصف لهذه القضيّة الرائعة بالذات.

لعلك تتذكر كيف وجّهَتْ قضيةُ السفينة «غلوريا سكوت» ومحادثتي مع الرجل التعِس الذي أخبرتك عن مصيره انتباهي إلى المهنة التي صارت عمل حياتي، فأنت تعرفني الآن بعدما أصبح اسمي معروفاً طولاً وعرضاً وأصبح العامّة ورجال الشرطة ينظرون إليّ كملجأ أخير في القضايا المحيّرة، لذلك لن تدرك مدى الصعوبة التي واجهتُها في البداية وكم من الوقت انتظرت حتى نجحت في صنع اسمي وسمعتي.

عندما جئت إلى لندن في أول الأمر سكنت في شارع مونتاغو بالقرب من المتحف البريطاني، وهناك رحت أملأ وقت فراغي الطويل بدراسة فروع العلم التي تجعلني أكثر كفاءة. وجاءتني القضايا متفرقة من حين إلى آخر، وقد جاء أكثرها من زملاء الدراسة القدماء، ذلك لأن الحديث كان قد كَثُر عني وعن أساليبي خلال عامي الأخير في الجامعة. وكانت ثالثة تلك القضايا هي قضيّة وصية عائلة موسغريف، وقد كان الاهتمام الكبير الذي أثارته تلك السلسلة من الأحداث البالغة الأهمية هو الخطوة الأولى التي ساهمت في دفعي إلى المركز الذي أنا فيه الآن.

كان ريجنالد موسغريف طالباً في الكلّية ذاتها التي كنت طالباً فيها في الجامعة، وكنت أعرفه معرفة سطحية، فهو لم

يكن ذا شعبية بين طلاب الجامعة، بالرغم من أنني أحسست دائماً أن ما اعتبروه غروراً فيه كان في الحقيقة محاولة منه لإخفاء حياء شديد في طبيعته.

دلّ مظهره على رجل من النوع الشديد الأرستقراطية، فقد كان نحيلاً ذا أنف مرتفع وعينين واسعتين، وكانت تصرفاته واهنة ولكنها منمَّقة. كان حقاً سليل إحدى أعرق العائلات في بريطانيا، وإن كان من الفرع الذي انفصل عن عائلة موسغريف في الشمال في وقت ما من القرن السادس عشر واستقر غرب سَسِكس، حيث يمكن أن يكون قصر هورلستون هناك هو أقدم مسكن مأهول في تلك المقاطعة. وقد بدا ريجنالد موسغريف دائماً وكأن أصله يهيمن عليه، فلم أنظر قط إلى وجهه النحيل الحادّ وشموخ رأسه إلا وقرنته بالقناطر الرمادية والنوافذ ذات الأعمدة والأطلال المَهيبة للقلاع الإقطاعية!

تحدثنا معاً مرات قليلة، وأتذكر أنه عبّر عن اهتمامه الشديد بأساليبي في الملاحظة والاستنتاج. ثم لم أرَه لمدة أربع سنوات حتى زارني ذات صباح في مسكني بشارع مونتاغو، ولم يكن قد تغير إلا قليلاً، فكان يرتدي ملابسه متماشياً مع طُرُز الشباب حيث كان دائماً شديد التأنّق، كما حافظ على نفس سلوكه الهادئ الرقيق الذي كان يميّزه سابقاً.

سألته بعد أن صافحته بحرارة: كيف جرت الأمور معك يا موسغريف؟

قال: من المحتمَل أنك سمعت بوفاة والدي المسكين.

لقد توُفّي منذ عامين فأشرفتُ على إدارة ممتلكات هورلستون، وبما أنني أيضاً عضو في البرلمان عن مقاطعتي فإن حياتي مليئة بالنشاط. وقد فهمت -يا هولمز- أنك حوّلت قدراتك التي أذهلتَنا بها دائماً إلى أغراض عملية؟

قلت: أجل، لقد اتخذت من مقدرتي العقلية سبيلاً لكسب معيشتي.

- أنا سعيد بسماع ذلك لأن نصيحتك في الوقت الحالي ستكون قيّمة جداً بالنسبة لي، فقد وقعَت في هورلستون أحداث غريبة جداً، ولم يستطع الشرطة إيضاح الأمر، وهو بالفعل أمر غريب وغير قابل للتفسير.

يمكنك أن تتخيل مدى لهفتي وأنا أستمع إليه يا واطسون، فالفرصة التي كنت ألهث وراءها طوال كل تلك الشهور من البطالة صارت في متناول يدي، ففي أعماق قلبي كنت أؤمن بأنني أستطيع النجاح حيث فشل الآخرون، وقد سنحت لي الآن الفرصة لأختبر نفسي.

قلت: بربّك أخبرني بالتفصيلات.

جلس موسغريف أمامي وقال: يجب أن تعرف أولاً أن عليّ الاحتفاظ بعدد كبير من الخدم في هورلستون مع أنني أعزب، فهو قصر قديم مترامي الأطراف ويحتاج إلى الكثير من العناية، كما أنني أستقبل فيه بعض الضيوف للإقامة أحياناً، لذلك لا يمكن السماح بنقص في العمالة. وهكذا فإن لدينا

ثماني خادمات وكبير خدم وطبّاخاً واثنين من البوّابين، أما الحديقة والإسطبلات فلها طاقم منفصل بالطبع.

الأقدم بين هؤلاء جميعاً هو كبير الخدم برونتون، وقد كان مديرَ مدرسة يافعاً في المكان غير الملائم حين وظّفه أبي، ولكنه كان ذا طاقة كبيرة وشخصية عظيمة، وسرعان ما صار ذا قيمة لا تقدَّر بالنسبة لسكان المنزل. وهو وسيم ذو بنية قوية وجبهة عريضة، ومع أنه يقيم معنا منذ عشرين عاماً إلا أن

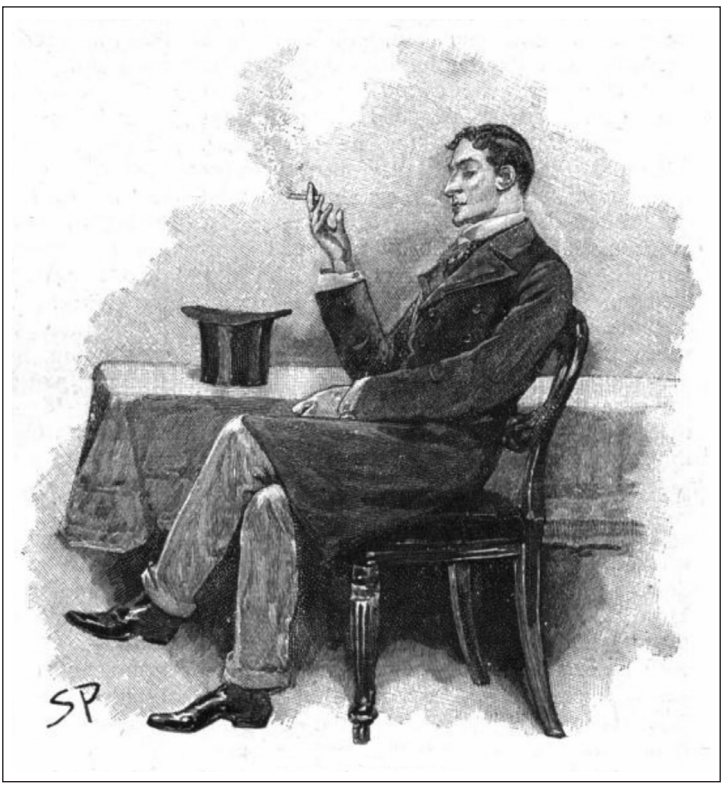

رسم سدني باجيت (١٨٩٣) Sidney Paget (1893)

عمره لا يمكن أن يزيد عن أربعين عاماً، فبقي راضياً بوظيفته حتى الآن بالرغم من مزاياه الشخصية ومواهبه الاستثنائية، فهو يتحدث بعدّة لغات ويعزف على كل الآلات الموسيقية تقريباً، وظنّي أنه قد استرخى وفقَدَ الطاقة اللازمة ليقوم بأي تغيير. وهكذا صار كبير الخدم في هولستون من الأشياء التي يتذكرها كل من يزورنا.

كان برونتون متزوجاً ولكنه ترمّل منذ نحو سنة، وقد راودنا الأمل منذ شهور قليلة بأنه سوف يستقرّ من جديد بعد أن خطب راشل هاولز خادمة المنزل الثانية، ولكنه لم يلبث أن تخلّى عنها واتجه إلى جانيت تريغليس ابنة رئيس حرّاس الصيد.

راشل فتاة ممتازة ولكنها سريعة الانفعال، وقد أصابتها نوبة حادّة من حُمّى الدماغ فراحت تهيم في المنزل (أو كانت كذلك حتى الأمس) مثل ظلّ بائس لِما كانت عليه من قبل. كانت تلك هي الدراما الأولى التي وقعت في هورلستون، ثم جاءت الثانية لتبعدها عن أذهاننا، وقد بدأت بحادثة طرد رئيس الخدم برونتون.

قلت لك إن الرجل كان ذكياً، وذكاؤه هذا بالذات هو الذي قضى عليه، حيث يبدو أن فضوله قاده إلى العبث بأشياء لا تعنيه بأي حال، وقد كانت مصادفة بسيطة وراء اكتشاف فضوله هذا. ففي أحد أيام الأسبوع الماضي، وعلى وجه الدقة ليلة الخميس، وجدت أنني لا أستطيع النوم لأنني -بحماقة-

كنت قد شربت كوباً من القهوة المركَّزة السوداء بعد العشاء، وبعد مقاومة الأرق حتى الثانية صباحاً شعرت باليأس، فنهضت وأشعلت شمعة وأنا أنوى إنهاء رواية كنت قد بدأت قراءتها، ولكنني كنت قد تركتها في غرفة البلياردو، فارتديت ردائي المنزلي وذهبت لإحضارها.

كان عليّ أن أرتقي عدداً من الدرجات حتى أصل إلى غرفة البلياردو ثم أعبر الممر الذي يقود إلى غرفة المكتبة، ولك أن تتخيل دهشتي عندما نظرت عبر الممر لأجد شعاع ضوء ظاهراً من باب المكتبة المفتوح، وكنت قد أطفأت المصباح بنفسي وأغلقت الباب قبل الذهاب للنوم!

كانت أول فكرة خطرت على بالي بطبيعة الحال هي وجود لصوص، وبما أن جدران الممرات في هورلستون مزيَّنة بتذكارات من الأسلحة القديمة فقد التقطت واحداً من فؤوس الحرب وتركت شمعتي ورائي وتسللت على أطراف أصابعي عبر الممر، ثم اختلست النظر من خلال الباب المفتوح.

كان كبير الخدم برونتون جالساً على كرسي مريح في المكتبة وأمامه قطعة من الورق تشبه الخريطة، وهو مُنحَنٍ إلى الأمام يسند جبهته على يده في تفكير عميق. جمّدتني المفاجأة فوقفت أراقبه في الظلام، وكان الضوء الضعيف من شمعة صغيرة على حافة الطاولة كافياً ليظهر لي أنه كان مرتدياً ملابسه كاملة. وفجأة بينما كنت أراقبه وقف واتجه إلى المكتب على الجانب وفتح القفل، ثم سحب أحد الأدراج فأخرج

منه ورقة، وبعد ذلك عاد إلى كرسيه وبسطها بجوار الشمعة على حافة الطاولة وبدأ يدرسها باهتمام. تغلب عليّ امتعاضي حين رأيته يفحص وثائقنا العائلية فخطوت خطوة إلى الأمام،

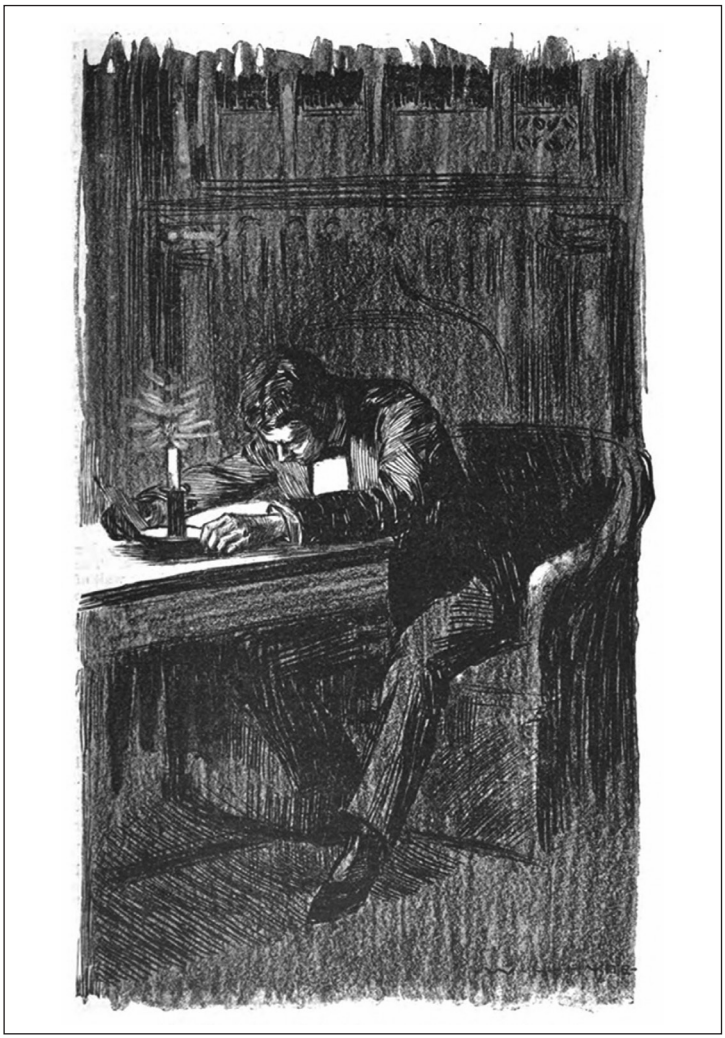

رسم ولْيَم هايْد (١٨٩٣) William Hyde (1893)

فرفع برونتون نظره إلى الأعلى ورآني واقفاً في المدخل، فقفز واقفاً وقد شحب وجهه من الخوف، ثم دفع الورقة التي تشبه الخريطة والتي كان يدرسها في البداية إلى جيبه.

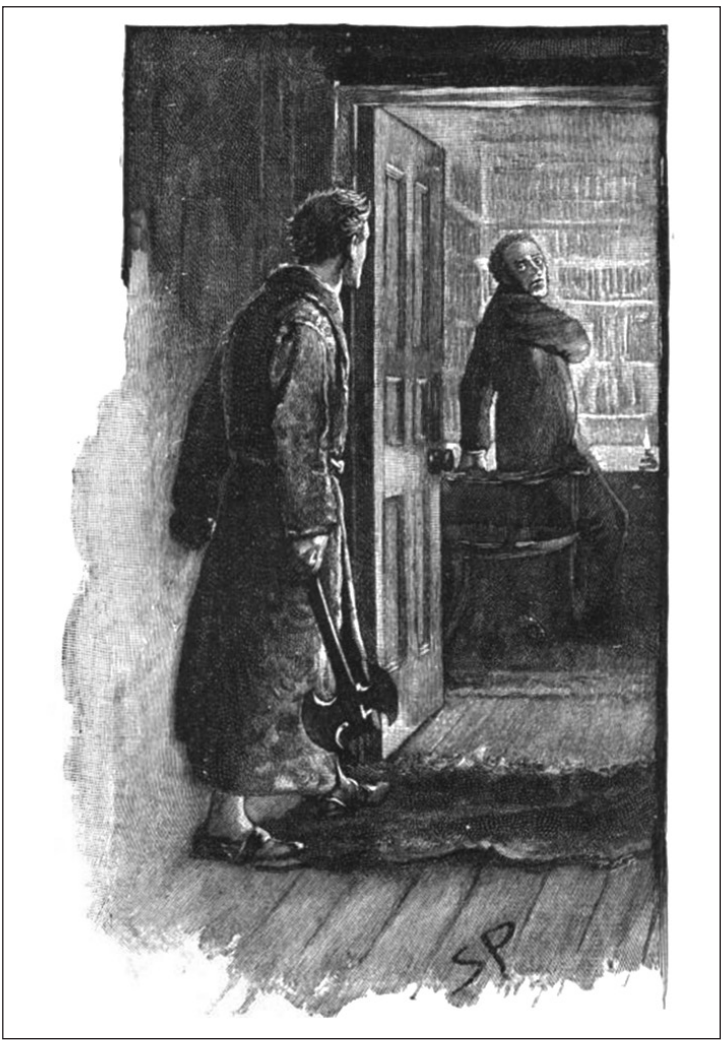

رسم سدني باجيت (١٨٩٣) Sidney Paget (1893)

قلت: أهكذا تردّ على الثقة التي وضعناها فيك؟ ستترك خدمتي في الغد.

انحنى وقد بدا كرجل محطَّم تماماً، وانسلّ من جانبي دون أن ينطق بكلمة.

كانت الشمعة ما تزال مشتعلة، فألقيت نظرة سريعة لأرى ما هي الورقة التي أخذها برونتون من المكتب، ولدهشتي وجدت أنها ليست لها أي أهمية على الإطلاق. كانت -ببساطة- نسخة من قائمة الأسئلة والأجوبة التي تقوم عليها وثيقة قديمة غريبة نسمّيها «وصية عائلة موسغريف»، وهي نوع من المراسم الخاصة بعائلتنا مضت عليها عدة قرون، ويطّلع عليها كل فرد من عائلة موسغريف حين يبلغ العمر المناسب. ولكنها ذات أهمية خاصة لنا فقط، وربما كانت على شيء من الأهمية بالنسبة لعالِم آثار، أما غير ذلك فليست لها أي فائدة عملية.

قلت: من الأفضل أن نعود إلى موضوع الورقة فيما بعد.

أجابني ببعض التردّد: إذا كنت تظن أن الأمر ضروري حقاً. على أية حال سأكمل روايتي: بعد ذلك أعدت إغلاق المكتب مستخدماً المفتاح الذي تركه برونتون، وعندما استدرت لأغادر فوجئت بأنه عاد فوقف أمامي، ثم صاح بصوت متهدج من الانفعال: سيد موسغريف، سيدي، لن أستطيع تحمُّل العار يا سيدي؛ لقد كنت دائماً فخوراً أكثر مما تسمح به مكانتي في الحياة، والطرد سوف يقضي عليّ،

سيكون دمي في رقبتك بالفعل يا سيدي إذا دفعتني إلى اليأس، فإذا لم تكن راغباً في بقائي بعدما حدث فبربّك دعني أقدّم استقالتي وأغادر في غضون شهر كما لو كان ذلك بإرادتي واختياري. يمكنني تقبُّل ذلك يا سيد موسغريف، ولكني لن أتحمل الطرد أمام كل من أعرفهم من الناس.

أجبته قائلاً: أنت لا تستحقّ أي مراعاة لمشاعرك يا برونتون؛ إن فعلتك شائنة جداً. على أية حال، وبما أنك تخدم العائلة منذ وقت طويل فلست أرغب في أن أُلحِق بك العار علناً، ولكن الشهر مدة طويلة جداً. اذهب خلال أسبوع ويمكنك أن تقول ما تريد عن أسباب ذهابك.

صاح بصوت يائس: أسبوع فقط يا سيدي! فليكونا أسبوعين على الأقل.

كررت عليه قائلاً: أسبوع واحد، ويمكنك أن تعتبر أنني عاملتك بتساهل كبير.

انسلّ خارجاً مَحنيّ الرأس كرجل كَسير، أما أنا فقد أطفأت الشمعة وعدت إلى غرفتي.

لمدة يومين بعد الحادثة كان برونتون حريصاً جداً على الانتباه إلى واجباته، ولم ألمّح أنا إلى ما حدث، بل انتظرت ببعض الفضول لأرى كيف سيغطّي عاره. وفي صباح اليوم الثالث لم يظهر كعادته بعد الإفطار ليتلقّى تعليماتي عن سائر اليوم، وفيما أنا أغادر حجرة الطعام قابلت الخادمة راشل هاولز (وقد أخبرتك أنها تعافت حديثاً من المرض) وقد بدت

شاحبة جداً وهزيلة لدرجة أنني اعترضت على رجوعها إلى العمل.

قلت: يجب أن تكوني في السرير، عودي إلى العمل عندما تكون صحّتك أكمل.

نظرت إليّ بتعبير غريب جداً، حتى إنني بدأت أشك في أن ضرراً أصاب عقلها بسبب المرض، وقالت: أنا قوية بما فيه الكفاية يا سيد موسغريف.

أجبتها: سنرى ما يقوله الطبيب، أما الآن فيجب أن تتوقفي عن العمل، وأرسلي لي برونتون فأنا أريد رؤيته.

قالت: لقد ذهب كبير الخدم.

- ذهب؟! إلى أين؟

- لقد ذهب، لم يرَه أحد وهو ليس في غرفته. نعم، لقد ذهب، لقد ذهب.

سقطت إلى الخلف على الجدار وانتابتها نوبة تلو أخرى من الضحك، فأصابني الذعر من تلك النوبة الهستيرية المفاجئة وأسرعت أدقّ الجرس لأستدعي النجدة.

أخذوا الفتاة إلى غرفتها وهي ما تزال تصرخ وتبكي، واستعلمت عن برونتون فتأكدت أنه اختفى فجأة، فسريره لم يُستعمل ولم يرَه أحد منذ أن أوى إلى غرفته في الليلة السابقة! ومع ذلك كان من الصعب معرفة كيف استطاع مغادرة المنزل

لأن الأبواب والنوافذ جميعها كانت مغلقة في الصباح، وكانت ملابسه وساعته ما تزال في غرفته، وكذلك أمواله، ولكن البدلة السوداء التي اعتاد أن يرتديها كانت مختفية! فإلى أين إذن ذهب كبير الخدم في أثناء الليل؟ وماذا يمكن أن يكون قد حدث له؟

فتّشنا كل مكان في المنزل بالطبع، ولكنْ بلا أثر، فالمنزل قديم كالمتاهة كما قلت لك، ولا سيما الجناح القديم، وهو الآن غير مأهول تقريباً، وقد فتّشنا كل غرفة وكل سرداب فيه دون اكتشاف أقلّ أثر للرجل المفقود! بدا لي غيرَ معقول أن يرحل الرجل ويترك كل متعلقاته وراءه، ولكن أين يمكن أن يكون؟ اتصلت بالشرطة، ولكن بلا جدوى، فقد هطل المطر في الليلة السابقة فلم نستفِد شيئاً حين فحصنا المرج العشبي والممرّات المحيطة بالمنزل.

كان هذا هو الحال حتى حدث تطوّر آخر جذب انتباهنا بعيداً. بقيت راشل هاولز مريضة جداً يومين كاملين، وكانت تقع أحياناً ضحية للهلوسة وتنتابها الهستيريا في أحيان أخرى، حتى إننا وظّفنا ممرضة للعناية بها في أثناء الليل. وفي الليلة الثالثة بعد اختفاء برونتون غفت الممرضة في مقعدها بعد أن اطمأنت إلى أن مريضتها تنام بهدوء، وعندما استيقظت في الصباح الباكر وجدت السرير خالياً والنافذة مفتوحة ولا أثر للمريضة!

أيقظوني على الفور، وبمساعدة اثنين من البوّابين بدأنا

البحث عن الفتاة المفقودة. ولم يكن من الصعب معرفة وجهتها، حيث استطعنا تتبّع آثارها بسهولة بدءاً من أسفل نافذتها مروراً بالمرج العشبي حتى حافة البحيرة، حيث اختفت آثارها بالقرب من الطريق المكسوّ بالحصى الذي يقود خارج الحدائق. البحيرة هناك عمقها ثلاثة أمتار، ولك أن تتصور مشاعرنا حين رأينا آثار تلك الفتاة المجنونة المسكينة تنتهي عند حافتها.

أحضرنا شبكة ذات يد طويلة وبدأنا بفحص البحيرة بحثاً عن جثة الفتاة المسكينة، ولكنا لم نجد أي أثر للجثّة، بل وجدنا أننا قد سحبنا إلى السطح شيئاً غير متوقَّع بتاتاً؛ حقيبة من الكتان تحتوي على قطعة غريبة من معدن صَدِئ تغيّر لونه، وعدّة قطع من الحصى أو الزجاج غير واضحة اللون! لم نجد في البحيرة سوى هذا الشيء الغريب، ومع أننا بذلنا كل جهد ممكن في البحث والتحقيق طوال يوم أمس إلا أننا لم نعرف شيئاً عن مصير أي من الاثنين، راشل هاولز أو ريتشارد برونتون، ووصلت تحقيقات الشرطة إلى طريق مسدود، ولهذا جئت إليك كملاذ أخير.

* * *

انتهى هولمز من رواية ما قاله صديقه موسغريف، ثم تنهّد وقال: ولك أن تتخيل -يا واطسون- مقدار لهفتي وأنا أستمع إلى تلك السلسلة من الأحداث الغريبة وأسعى إلى تجميعها معاً والعثور على خيط واحد يمكن أن يربطها جميعاً.

اختفى كبير الخدم ثم اختفت الخادمة! وقد كانت الخادمة تحب كبير الخدم ولكن كان لديها سبب لتكرهه فيما

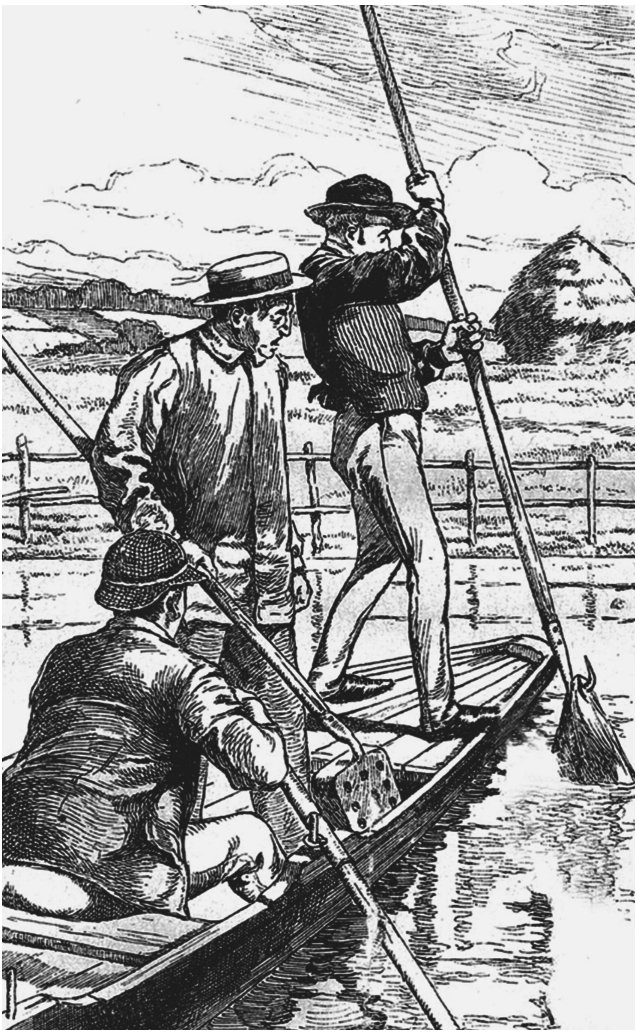

رسم مارتن فان مال (١٩٠٦) Martin Van Maële (1906)

بعد، فقد كانت من أصل ويلزي، أي أنها كانت تتميز بالعنف والعاطفة معاً، كما أنها انفعلت جداً بعد اختفائه مباشرة ورمت في البحيرة حقيبة تحتوي على أشياء مثيرة للفضول. كانت هذه هي كل الحقائق التي يجب أن نضعها في الاعتبار، رغم أن أياً منها لا يشير إلى لبّ الموضوع، فما هي نقطة البداية لهذه السلسلة من الأحداث؟ في تلك النقطة فقط توجَد نهاية هذه الأحداث المتشابكة.

قلت: يجب أن أرى تلك الورقة يا سيد موسغريف، تلك التي ظنّ كبير خدمك أنها تستحقّ الدراسة حتى لو كان ذلك على حساب خسارته لعمله.

أجاب قائلاً: إن وصيتنا تلك أمر سخيف، ولكن يشفع لها أنها تحفة أثرية على الأقل. معي هنا نسخة من الأسئلة والأجوبة إذا أردت قراءتها.

سلّمني هذه الورقة الموجودة هنا نفسها يا واطسون، وهذه هي مجموعة الأسئلة والأجوبة التي يجب أن يطّلع عليها كل فرد من عائلة موسغريف حين يبلغ سنّ الرجولة. سأقرأ لك الأسئلة وأجوبتها كما هي:

- لِمَن كان؟
- لمن مات.
- ولمن سيكون؟
- لمن سيأتي.
- أين كانت الشمس؟

- على شجرة البلّوط.
- أين كان الظل؟
- تحت شجرة الدّرْدار.
- كيف كانت خطواته؟
- عشر خطوات شمالاً، ثم خمس خطوات شرقاً، ثم خطوتين جنوباً، ثم خطوة بعدها خطوة إلى الغرب، ومثلها إلى الأسفل.
- بمَ نضحّي في سبيله؟
- بكل ما نملك.
- لماذا يجب علينا تسليمه؟
- لأنه أمانة.

علّق موسغريف قائلاً: الوثيقة الأصلية غير مؤرَّخة. إنها تعود إلى أواسط القرن السابع عشر حسبما تدل كتابتها، ولكن أخشى أنها لن تساعدك في حل هذا اللغز على أية حال.

قلت: سوف تعطينا لغزاً آخر على الأقل، واحداً أكثر تشويقاً من الأول، وقد يكون حل أحدهما من خلال حل الآخر. فلتسامحني -يا موسغريف- إذا قلت لك إن كبير خدمك كان رجلاً حاذقاً وكان يملك بصيرة نافذة تفوق بصيرة عشرة أجيال من سادته.

قال موسغريف: أنا لا أفهمك! هذه الورقة تبدو لي بغير قيمة عملية.

- ولكنها تبدو لي عمَلية جداً، وأحسب أن برونتون

كانت له وجهة نظري نفسها، ومن المحتمَل أن يكون قد رآها قبل تلك الليلة التي قبضتَ عليه فيها.

- من الممكن جداً، فنحن لم نتكلف عناء إخفائها.

- أتصوّر أنه كان يأمل في إنعاش ذاكرته في تلك الليلة الأخيرة، فقد كان معه -كما فهمت- خريطة ما أو مخطَّط يقوم بمقارنته بالمخطوط، ثم دفعه إلى جيبه عندما ظهرتَ أنت.

- هذا صحيح، ولكن ما علاقة ذلك بهذه الوصية الخاصة بعائلتنا؟ وماذا يعني هذا الكلام غير المفهوم؟!

قلت: لا أعتقد أننا سنواجه صعوبة في تحديد ذلك. سنستقل أول قطار إلى سَسِكْس -بعد إذنك- لندرس الموضوع في مكان الأحداث بعمق أكثر.

* * *

وصلنا إلى هورلستون عصرَ اليوم نفسه. ربما شاهدتَ صورة ذلك المبنى القديم الشهير وقرأت أوصافه، لذلك سأحصر وصفي له بقولي إنه يمتد في قسمين مستطيلين متعامدَين على شكل حرف الدال، على أن أحد القسمين أكثر استطالة من الآخر. القسم الطويل هو الجزء الجديد من المبنى، أما القصير فهو النواة القديمة التي انبثق منها القسم الجديد، وفي وسط هذا القسم القديم يوجَد باب منخفض ذو عتبة سميكة منقوش عليها تاريخ ١٦٠٧، ولكن الخبراء متفقون على أن المبنى أقدم من هذا التاريخ بكثير.

وقد حملَت الجدرانُ السميكة والنوافذُ الصغيرة العائلةَ على بناء الجناح الجديد في القرن الأخير، ويُستخدم الجناح القديم الآن كمخزن وقبو، ولكنه نادر الاستخدام، ويحيط بالمنزل متنزَّه جميل فيه أشجار قديمة جميلة، والبحيرة التي أشار إليها عميلي تقع على مقربة من الطريق المشجَّر وتبعد عن المبنى بنحو مئتي متر.

كنت مقتنعاً بشدّة -يا واطسون- بأن المسألة ليست فيها ثلاثة ألغاز غامضة، بل واحد فقط، وأنني لو استطعت قراءة «وصية عائلة موسغريف» كما ينبغي فسوف أمسك في يدي مفتاح الحل الذي سيقودني إلى الحقيقة المتعلقة بكبير الخدم برونتون وبالخادمة هاولز، فوجّهت كل طاقتي في هذا الاتجاه.

لماذا كان الرجل متلهفاً جداً لدراسة تلك الوصية القديمة؟ من الواضح أن السبب هو أنه رأى فيها ما غاب عن كل الأجيال السابقة من مُلّاك القصر، وكان يتوقع منها بعض الفائدة. فما هذا الشيء؟ وكيف أثّر في مصيره؟ بعدما قرأت الوصية أدركت أن المقاييس تشير إلى مكان معيَّن وإليه يلمّح باقي الوثيقة، وأننا إذا استطعنا العثور على ذلك المكان فسوف نكون في الاتجاه الصحيح لمعرفة السرّ الذي اعتقد أفراد عائلة موسغريف القدامى أن من الضروري أن يُصان بهذه الطريقة العجيبة.

كان أمامي دليلان لأبدأ بهما: شجرة البلّوط وشجرة الدَّرْدار، ولم تكن بي أي حاجة للتساؤل عن شجرة البلّوط،

فأمام المنزل مباشرة في الناحية اليسرى من طريق العربات انتصبت شجرة بلّوط جليلة، لعلها من أكثر الأشجار التي رأيتها روعة. قلت ونحن نمرّ بها: أكانت تلك الشجرة موجودة عندما كُتبت الوصية؟

أجابني قائلاً: من المحتمَل أنها كانت موجودة منذ غزو الرومان، فلها جذع يزيد محيطه على سبعة أمتار.

سألته: هل عندكم أي أشجار دَرْدار قديمة؟

رسم سدني باجيت (١٨٩٣) Sidney Paget (1893)

- كانت عندنا واحدة قديمة جداً، لكن صاعقة أصابتها منذ عشر سنوات فقطعنا ما بقي منها.

- هل تستطيع معرفة المكان التي كانت فيه؟

- نعم.

- ألا توجد هنا أشجار دردار أخرى؟

- ليست قديمة، ولكن يوجد الكثير من أشجار الزان.

- أودّ أن أرى أين كانت تلك الشجرة.

قادني عميلي في الحال إلى الأثر الموجود على المرج العشبي والذي يدلّ على المكان التي كانت فيه شجرة الدردار، وكان في منتصف الطريق تقريباً بين شجرة البلّوط والمنزل، وبدا أن تحقيقي في تقدُّم.

سألته قائلاً: هل أفترضُ أن من المستحيل معرفة كم كان ارتفاعها؟

- أستطيع إخبارك به على الفور؛ إنه عشرون متراً.

سألته بدهشة: كيف عرفت ذلك؟

- عندما كان معلّمي القديم يعطيني تمرينات في علم المثلّثات كان يركّز على قياس الأطوال، فحسبت ارتفاع كل شجرة ومبنى في العزبة عندما كنت صبيّاً.

كانت تلك ضربة حظّ غير متوقَّعة، فالمعلومات كانت

تَرِدُني بسرعة أكبر مما كنت أتمنّى. سألته: أخبرني، هل سبق أن سألك كبير خدمك مثل هذا السؤال؟

نظر إليّ ريجنالد موسغريف بدهشة ثم أجابني قائلاً: الآن وقد ذكّرتني، نعم. لقد سألني برونتون عن ارتفاع الشجرة منذ بضعة شهور بسبب خلاف صغير بينه وبين السائس.

كانت تلك أخباراً ممتازة يا واطسون لأنها أظهرت لي أنني على الطريق الصحيح، فنظرت إلى الشمس التي كانت قد بدأت تميل إلى المغيب، وتَبيّن لي ببعض الحساب أنها ستكون عند أعلى فروع شجرة البلّوط القديمة في أقل من ساعة، وعندها سيتحقق أحد الشروط المذكورة في الوصية. لا بدّ أن يعني «ظلّ الدردار» الطرفَ الأبعد للظل، وإلا لكانوا قد اختاروا الجذع دليلاً، وعندها وجب عليّ أن أجد المكان الذي كان أبعد طرف سيقع فيه ظلّ شجرة الدردار عندما تكون الشمس بالكاد أعلى شجرة البلّوط.

ذهبت مع موسغريف فأعددت وتداً ربطتُ به حبلاً طويلاً عقدت فيه عُقَداً عدة يفصل بين كل اثنتين منها متر، ثم أخذت وصلتين من صنارة صيد كان طولهما مجتمعتين مترين تماماً، ثم رجعت مع عميلي إلى حيث كانت شجرة الدردار حين كانت الشمس تلمس قمّة شجرة البلّوط، فقمت بتثبيت الصِّنَارة على طرفها ووضعت علامة لتوضّح اتجاه الظل، ثم قسته فكان طوله ثلاثة أمتار.

من ثَمّ بات إجراء الحساب بسيطاً، فلو كانت العصا ذات

المترين تلقي ظلاً طوله ثلاثة أمتار فالشجرة التي يبلغ ارتفاعها عشرين متراً ستُلقي ظلاً طوله ثلاثون متراً، كما أن اتجاه الظلّ سيكون هو نفسه بالطبع. قست المسافة التي أوصلتني إلى جدار المنزل تقريباً، فدفعت بالوتد في المكان، ولك أن تتخيل اغتباطي -يا واطسون- حين وجدت على بعد بوصتين من وتدي انخفاضاً مخروطياً في الأرض، فعرفت أنها العلامة التي وضعها برونتون في أثناء قيامه بالقياسات، وأيقنت بأنني ما زلت في أعقابه.

من نقطة البداية هذه واصلت التقدّم، فبدأت بتحديد الجهات الأربع مستعيناً ببوصلتي التي أضعها في جيبي، وبعد أن خطوت عشر خطوات وصلت إلى نقطة قريبة من جدار المنزل، فحددت الموقع مرة أخرى بواسطة الوتد، ثم تقدمت بعناية خمسَ خطوت إلى الشرق وخطوتين إلى الجنوب، فوجدت نفسي عند عتبة الباب القديم، فإذا تقدمت الآن خطوتين إلى الغرب فمعنى ذلك أن أدخل خطوتين في الممرّ المرصوف بالحجر، ويكون هذا هو المكان المقصود الذي أشارت إليه الوصية.

لم ينتَبْني قط مثل هذا الشعور الحادّ بخيبة الأمل يا واطسون، فللحظة بدا لي أن في حساباتي خطأ جذرياً. لقد أضاءت الشمس الغاربة الممرَّ المرصوف بشكل كامل، واستطعت رؤية الأحجار الرمادية القديمة المتآكلة من طول الاستعمال التي كان الممر مرصوفاً بها، وقد كانت مثبَّتة بالإسمنت بصلابة ولم تحرَّك منذ سنوات طويلة بالتأكيد، مما

يعني أن برونتون لم يعمل هنا!

طرقت الحجرَ فأصدر الصدى نفسه في كل مكان، ولم يكن هناك أثر لأي فتحات أو شقوق، ولكن -لحسن الحظ- بدأ موسغريف يفهم معنى ما أقوم به فشاركني حماستي،

رسم سدني باجيت (١٨٩٣) Sidney Paget (1893)

فأخذ مخطوطته حتى يراجع حساباتي ثم صاح قائلاً: «ثم إلى الأسفل»... لقد تجاهلت إلى الأسفل.

كنت قد ظننت أنها تعني أن علينا أن نحفر، ولكني فهمت عند ذلك على الفور أنني كنت مخطئاً، فصحت قائلاً: تحت هذا المكان سرداب إذن!

- أجل، وهو قديم قِدَم المنزل. من هنا إلى الأسفل ثم عبرَ هذا الباب.

نزلنا درجات حجرية متعرجة، وأشعل رفيقي ثقاباً ثم أضاء مصباحاً كبيراً كان موضوعاً فوق برميل في الزاوية، فأدركت فوراً أننا وصلنا إلى المكان الصحيح، وبدا أننا لم نكن وحدَنا مَن قصد ذلك المكان حديثاً.

كان القبو يُستخدَم في تخزين الخشب، ولكن كان من الواضح أن قطع الخشب كانت مبعثَرة على الأرض ثم صُفَّت على الجانبَين بطريقة تسمح بوجود مساحة خالية في الوسط، وفي تلك المساحة رأينا بلاطة ثقيلة لها يد حديدية صدئة في وسطها وقد رُبِطت بها كوفية سميكة.

صاح عميلي: يا إلهي، إنها كوفية برونتون! لقد رأيته يرتديها، أنا متأكد من ذلك. ماذا كان هذا الشرير يفعل هنا؟

بناء على اقتراحي استدعى موسغريف شرطيَّين من شرطة المقاطعة ليكونا حاضرَين، وسعينا عندها لنرفع الحجر مستخدمين الكوفية، ولكنني لم أستطع تحريكها إلا قليلاً

حتى ساعدني أحد رجال الشرطة أخيراً في حملها إلى أحد الجوانب، فظهرت حفرة مظلمة حدقنا إليها كلنا، ثم جثا موسغريف على أحد الجوانب وأنزل المصباح إلى الفتحة.

ظهرت أمامنا غرفة صغيرة عمقها نحو مترين وأضلاعها مربّعة طول كل منها نحو متر أو أكثر قليلاً، وفي أحد الجوانب رأينا صندوقاً من الخشب المغلف بالنحاس، وقد كان الغطاء مرفوعاً إلى الأعلى ومفتاح قديم الطراز غريب الشكل يظهر من القفل، وقد غطّته من الخارج طبقة سميكة من التراب. كان خشب الصندوق قد تآكل بفعل الرطوبة والديدان وقد نمَت الفطور في داخله، وتبعثرت في قاعِهِ عدّة أقراص معدنية هي عملة نقدية قديمة كما يبدو، ولم يكن يحتوي على أي شيء آخر.

لكننا لم نفكّر في الصندوق في تلك اللحظة، فقد جمدت عيوننا على ما كان يجثم بجواره. كان جسمَ إنسان يرتدي بدلة سوداء ويجثم على فخذيه وقد استندت جبهته على حافة الصندوق وامتدّ ذراعاه على جانبَيه! وقد أدّى هذا الوضع إلى تجمع كل الدم الراكد في وجهه، ولم يكن أحدٌ ليتعرف إلى تلك الملامح التي شوّهها لون الدم المحتقن، ولكن طوله وملابسه وشعره كانت جميعاً كافية لتُظهِر لعميلي -حين سحبنا الجثّة إلى أعلى- أنها جثة كبير الخدم المختفي.

كان ميتاً منذ بضعة أيام، ولكن لم يظهر عليه أي جرح أو علامة تدل على الطريقة التي لقي بها حتفه. وعندما حملوا

جثمانه من القبو وجدنا أنفسنا أمام مشكلة تكاد تكون بنفس صعوبة المشكلة التي بدأنا بها.

أعترف -يا واطسون- أنني كنت أشعر بالإحباط حتى

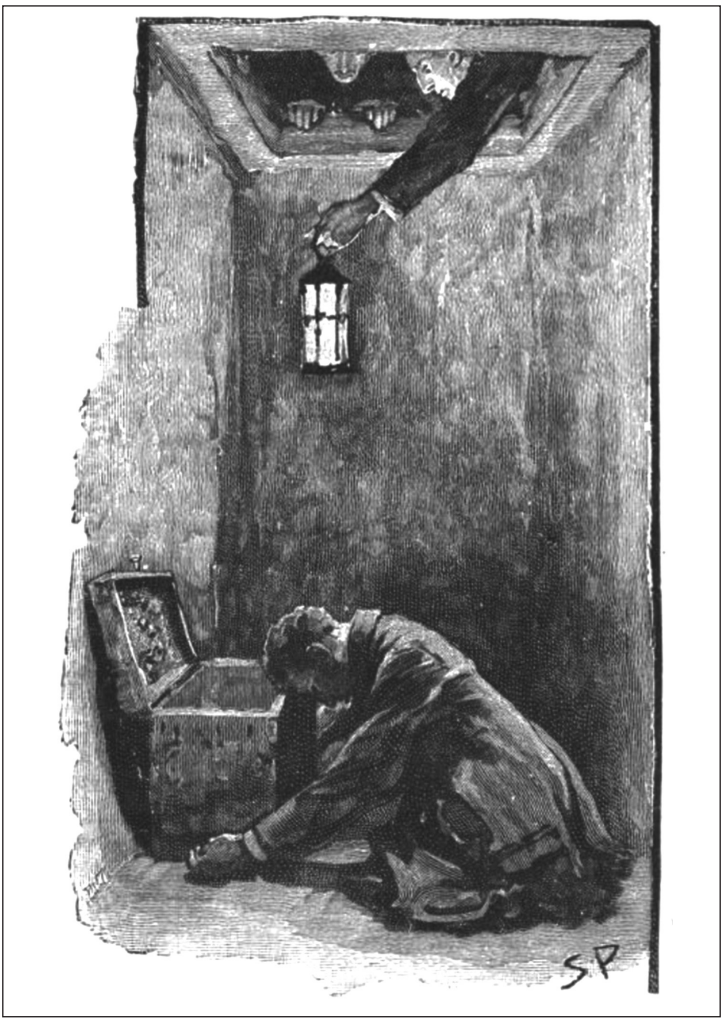

رسم سدني باجيت (١٨٩٣) Sidney Paget (1893)

تلك اللحظة، فقد ظننت أنني سأتوصل إلى حل الأمر عندما أجد المكان المشار إليه في الوصية، إلا أنني وصلت إلى هناك وما زلت أبعدَ ما أكون عن معرفة الذي كانت العائلة تخفيه بكل تلك التدبيرات المُحكَمة! ومع أنني أوضحت مصير برونتون إلا أنني كنت بحاجة لمعرفة السبب الذي أدّى به إلى ذلك المصير، وأيضاً لمعرفة الدور الذي لعبته الفتاة المختفية في تلك اللعبة.

جلست على برميل في الركن وأعدت دراسة الأمر كله بعناية. أنت تعرف أساليبي في مثل هذه القضايا يا واطسون، فأنا أضع نفسي مكان الرجل، وبعد تحديد مدى ذكائه أولاً حاولت تَخيُّل كيف كنت سأتصرف في الظروف نفسها. في هذه القضية سهّل الأمرَ أن برونتون كان يمتلك ذكاء من الدرجة الأولى، ومن ثَم فقد كان من غير الضروري السماح بأي نظريات شخصية في موضوع محسوم كما يقول العلماء.

لقد عرف برونتون أن شيئاً ثميناً أُخفي هنا ثم نجح في الاهتداء إلى موضعه، لكنه وجد أن الحجر الذي يغطيه ثقيل جداً بحيث أن رجلاً واحداً لن يستطيع تحريكه دون مساعدة، فماذا سيفعل بعد ذلك؟ لم يكن قادراً على طلب المساعدة من الخارج، فحتى لو كان يعرف شخصاً يستطيع أن يأتمنه فلن يستطيع الاستعانة به دون فتح الأبواب وتعريض نفسه لخطر كبير باكتشاف أمره، لذلك كان التصرف المناسب هو أن يحصل على المساعدة من داخل المنزل. ولكن ممّن يمكنه أن يطلب المساعدة؟

لقد كانت تلك الفتاة مخلصة له في الماضي قبل أن يتنكر لها وينصرف عنها إلى غيرها، والرجال لا يدركون أنهم يفقدون حب المرأة إلى الأبد إذا ما عاملوها بسوء، لذلك فقد ظنّ أنه إذا أظهر بعض الاهتمام بها فسوف تكون هي مصدر العون المطلوب. وهكذا عقدَ صلحاً مع الفتاة هاولز حتى يورّطها معه لتكون شريكته، وبعد ذلك يأتيان معاً إلى القبو خلال الليل حيث تكفي قوّتهما مجتمعة لرفع الحجر.

حتى تلك النقطة استطعت تتبّعه كما لو كنت قد رأيتهما بالفعل، ولكن لا بد أن رفع هذا الحجر كان عملاً شاقاً، لا سيما وقد كان أحد الاثنين امرأة، فقد وجدت أنا وشرطي قوي أنه ليس بالأمر السهل، فما الذي يمكن أن يفعلاه ليساعدهما؟ من المحتمَل أنه الشيء الذي كان يجب عليّ فعله. وقفت وفحصت ألواح الخشب المختلفة التي كانت مبعثَرة على الأرض بعناية، وقد عثرت على ما توقّعته على الفور: قطعة واحدة من الخشب طولها متر عليها علامة غائرة واضحة على أحد طرفَيها، وعدّة ألواح أخرى عليها علامات عرضية على الجوانب كما لو أنها تعرضت للضغط بشيء ثقيل.

عندما لاحظت ذلك كله أدركت أنهما رفعا الحجر إلى الأعلى ثم دفعا قطعاً من الخشب في الشقّ حتى صارت الفتحة أخيراً واسعة بما يكفي لتسمح لهما بالزحف من خلالها، ثم وضعا قطعة من الخشب بشكل طولي لتبقيها مفتوحة. وبالطبع سيؤدّي ذلك إلى انبعاج القطعة عند طرفها السفلي، حيث سيضغط ثقل الحجر عليها إلى أسفل على حافّة تلك الكتلة

الإسمنتية الأخرى.

إلى هنا كنت على الطريق الصحيح. والآن: كيف سأواصل إعادة تشكيل أحداث تلك الليلة الدرامية؟ من الواضح أن الحفرة لا تتّسع إلا لشخص واحد فقط، وكان هذا الشخص هو برونتون، فلا بد أن الفتاة انتظرته في الأعلى، وفتح برونتون الصندوق، ثم أفترضُ أنه أعطاها المحتويات لأننا لم نجدها فيه، وبعد ذلك... ماذا حدث بعد ذلك؟

ماذا يمكن أن يحدث إذا اشتعلت النار فجأة في قلب تلك الفتاة العاطفية العنيفة عندما ترى أن الرجل الذي ظلمها (وربما كان ظلمه لها أكثر مما نتخيل) وقد وقع في قبضتها؟ هل يمكن أن تكون قطعة الخشب قد انزلقت فأغلق الحجر على برونتون وهو في الحفرة فأصبحت قبراً؟ هل ذنبها الوحيد هو الصمت أمام ما حدث له؟ أم هل دفعَت ضربةٌ مفاجئة من يدها الخشبةَ الداعمة فسقطت الكتلة الإسمنتية وعادت إلى مكانها؟ فليكن الأمر ما يكون، فقد تخيّلتُ امرأة لا تزال تقبض على كنزها وتصعد الدرجات المتعرجة بجنون، ترنّ في أذنيها الصرخات المكتومة خلفها والطّرْقات المحمومة على الحجر الذي يخنق حبيبها الخائن حتى الموت!

كان ذلك هو سرّ شحوب وجهها واضطراب أعصابها ورنين ضحكاتها الهستيرية في صباح اليوم التالي، ولكن ماذا كان في الصندوق؟ وماذا فعلت به؟ إنه قطعاً تلك القطعة المعدنية القديمة والأحجار التي انتشلها عميلي من البحيرة،

فقد رمتها في الماء لتتخلص من آخر دليل على جريمتها.

جلست بلا حراك لمدة عشرين دقيقة أدرس الأمر من كل جوانبه، في حين كان موسغريف لا يزال واقفاً ووجهه

رسم ولْيَم هايْد (١٨٩٣) William Hyde (1893)

شاحب جداً وهو يحرّك المصباح ويحدق إلى الحفرة. ثم قال وهو يحمل القليل من القطع المعدنية التي كانت في الصندوق: إنها عملات من عهد تشارلز الأول. أترى؟ لقد كنا مُحقّين في تقدير تاريخ وثيقة وصية العائلة.

صحت فجأة وقد بدأت أفهم أول سطرين في الوصية: قد نجد شيئاً آخر من عهد تشارلز الأول. دعني أنظر إلى محتويات الكيس الذي انتشلتَه من البحيرة.

توجهنا إلى مكتبه حيث وضع الأشياء القديمة أمامي، وحين رأيتها أدركت لماذا اعتبرها ذات أهمية ضئيلة، فلون المعدن كاد يكون أسود والحجارة كالحة. فركتُ بكمّي واحداً من الأحجار فتوهّجَ في قبضة يدي، أمّا القطعة المعدنية فكانت في الأصل على شكل دائرة عريضة، ولكنها تقوَّست والتوت على مرّ الزمان ففقدت شكلها الأصلي.

قلت: يجب أن تضع في اعتبارك أن جماعة الملك استمروا على رأس السلطة في إنكلترا بعد وفاة الملك نفسه، ومن المحتمَل أنهم تركوا وراءهم -عندما هربوا أخيراً- معظم ممتلكاتهم القيّمة مدفونةً وفي نيّتهم العودة لاستعادتها عندما يسود السلام.

قال صديقي: كان جدّي الأكبر السير رالف موسغريف فارساً بارزاً، وكان اليدَ اليمنى للملك تشارلز الثاني خلال حكمه.

أجبته قائلاً: حقاً؟ حسناً، أعتقد أن هذه المعلومة توفّر لي الحلقة الأخيرة التي نسعى إلى الوصول إليها. عليّ أن

أهنّئك لعثورك على هذا الكنز، بالرغم من الظروف المأساوية التي وجدته فيها. إن لهذا الأثر قيمة عينية عظيمة، لكن قيمته كأثر تاريخي أخطر شأناً.

شهق بدهشة وقال: ما هو إذن؟

- إنه التاج القديم لملوك إنكلترا.

- التاج!

- بالضبط. فكّر فيما تقوله الوصية وكيف تنتقل من فكرة إلى فكرة: «لمن كان؟»، «لمن مات»، فقد كان ذلك بعد إعدام الملك تشارلز الأول. ثم بعد ذلك «لمَن سيأتي»، والمقصود هنا تشارلز الثاني الذي كانت عودته متوقَّعة. أنا على يقين أن هذا الإكليل المهترئ الذي لا شكلَ له قد طوّق ذات يوم جباه أولئك الملوك من عائلة ستيوارت.

- آه! وكيف انتهى به الأمر إلى البحيرة؟

وصفتُ له سلسلة الافتراضات الطويلة والأدلّةَ التي بنَيتها عليها، حتى غاب الشفق وبدأ القمر يتلألأ في السماء ولمّا أَفرُغْ من روايتي. فأعاد موسغريف الإكليل إلى الحقيبة الكتّانية، ثم سألني قائلاً: كيف إذن لم يحصل تشارلز الثاني على تاجه عندما عاد؟

قلت: أنت تضع يدك على النقطة الوحيدة التي لن نستطيع توضيحها أبداً. من المحتمَل أن الشخص الذي كان يحمل السرّ في عائلة موسغريف قد مات في تلك الفترة وترك

هذا الدليل لخلفائه، لكنه سَهَا عن توضيح معناه. ومنذ ذلك اليوم إلى وقتنا هذا انتقل من جيل إلى جيل، حتى وصل أخيراً لرجل استطاع اكتشاف السرّ ودفع حياته ثمناً لمغامرته.

هذه هي قصة وصية عائلة موسغريف يا واطسون، أما التاج فما زال هناك في قصر هورلستون، بالرغم من بعض المشكلات القانونية ومبلغ كبير من المال يجب دفعه قبل أن يُسمَح لآل موسغريف بالاحتفاظ به. وأنا متأكد أنك لو ذكرت اسمي فسوف يعرضونه عليك بكل سرور. أمّا الفتاة فلم يسمع أحدٌ عنها شيئاً، ولعلّها هربت من إنكلترا -حاملةً معها ذكرى جريمتها- إلى بلد بعيد.

* * *